القصة القصيرة جدا
قصة مظلات لجمال نوري أنموذجا

أ.م.د. فاتن عبد الجبار
جامعة تكريت / كلية التربية

الملخص :

ربما كان من أكثر الإشكاليات المطروحة حول جنس أدبي معين، هو ما أثير ويتم إثارته حول (القصة القصيرة جدا). ومعلوم أن الأخيرة بالقياس إلى الفنون والأجناس الأدبية الأخرى، تعد ذات عمر قصير جدا، لا يمكن للباحث مهما أوتي من مقدرة أدبية وبعد في النظر أن يلم بجوانبها كافة، كونها تحتمل المزيد من الرؤى والتنظيرات يسوغها شيوع هذا الفن، وتمليها حاجة العصر بإيقاعاته السريعة.

جاء بحثا هذا أشبه بخلاصة تحاول الوقوف على السمات الأساسية التي تتميز بها القصة القصيرة جدا، وقد اندرجت هذه السمات في جانبين، تمثل الأول في شكل القصة القصيرة جدا، وهو ما يتضح في كثرة المسميات التي أطلقت عليها والمتعلقة بشكلها، فضلا عن الاختلافات الحاصلة بين جمهرة من الباحثين والنقاد حول إيجاد تعريف جامع يعطي للقصة الملامح الأساسية للشكل من حيث الطول والقصر والألفاظ والسطور وغيرها.

أما الجانب الثاني فقد تناول بشيء من الإيجاز، في أماكن محددة، وبإسهاب في أماكن أخرى، تلك السمات التي تخص مضمون القصة القصيرة، وقمنا بتوضيح ذلك بإجراء مقارنة بينها وبين المضامين الشعرية المكثفة مما يمكن أن نطلق عليه بشعرية القصة القصيرة جدا. وبعد توضيح البحث لهذين الجانبين، والذي اعتمدنا فيهما بصورة رئيسة، على القراءة والنظر والتتبع، أتينا بنموذج تطبيقي للقاص جمال نوري، تمثل في قصة (المظلات)، بينا فيه ما ذهبنا إليه فيما يخص الجوانب التنظيرية للقصة القصيرة جدا، ليكون خاتمة تناسب موضوع البحث، وفي الوقت نفسه تكون انطلاقة لقصص أخرى تنتظر الدراسة والبحث.

القصة القصيرة جدا قصة مظلات لجمال نوري أنموذجا

إن شيوع الحديث وكثرته عن فكرة ما، هو بوجه معلوم إرهاص للشروع في تشكيل مشروع معين وبيان عناصره التي سوف يقوم عليها، إذ الحديث عن هذه الفكرة يقتضي عملية كشف واستبيان لرؤى غابت في الذهن فساعدت المرحلة والظروف على بدء انبلاجها ومواجهتها للنور.

ينسحب استهلالنا آنف الذكر من العلوم والمعارف الإنسانية كافة لينحسر في جزئه الأدبي، موضوع دراستنا وبحثنا، ثم يتخصص أكثر، لينصب في نوع أدبي جديد يتمثل في القصة القصيرة جدا، مع بقاء صحة الاستهلال وعدم غياب الدقة الكامنة فيه، مع نوع حديث جدا مقارنة مع التسلسل التاريخي الطويل الذي تدافعت فيه موجات الأجناس الأدبية بحيث أصبح من الصعب استقلال جنس منها عن بقية الأجناس الأدبية الأخرى.

تكمن صعوبة البحث وخطورته في حداثة ما يعرف بالقصة القصيرة جدا، وتزداد تلك الخطورة إذا ما علمنا أن نشوءها، وبعضا من ارتقائها، لا يتعدى العقود القلائل في أوساطنا العربية، وربما إذا قمنا بعملية ضغط للمدّة التي تبينت فيها ملامح القصة القصيرة جدا في البحوث والدراسات، لما زادت المدّة المحددة عن عقدين[١]، وهي مدّة لا يمكن

بحسب قصرها أن تعطي حكما قطعيا في هذا النوع الأدبي، مهما كانت أحجام الدراسات المقدمة فيها قليلة أو كثيرة، بالنظر إلى الإشكاليات التي أثيرت وما زالت تثار في أجناس أدبية يصل عمر البعض منها إلى قرون طويلة، فكيف تكون الحال بالنسبة لنوع أدبي يتفق الجميع على حداثته؟

إن كل ما كتب وقيل عن القصة القصيرة جدا، يبقى قاصرا عن اللحاق برؤى أخرى يحتملها هذا النوع الأدبي بوصفه من الفنون الرفيعة؛ ذلك لأنه ((لا يكاد يختلف احد من الباحثين في أن الفن العظيم كان دائما وعبر كل العصور، هو ذاك الذي يمثل خرقا للعادي اليومي من مألوف القيم والأشكال الجمالية المضمونية أو اللغوية))[٢]، بالنظر إلى الفعالية الكبرى الكامنة في النص، وقابليته للانفتاح على وجهات نظر كثيرة لا تخلو من الصحة والصواب، وتشفع وتؤيد بأدلة مقنعة.

وتشبه مقاربتنا في ورقتنا المقدمة مع ما سبقها أو تزامن معها، مجسما مبهم الشكل والأبعاد، يتم النظر إليه من زوايا واتجاهات مختلفة، تشكل بمجموعها بيانات صالحة لإعطاء رسم يوضح على قدر الاستطاعة شكل القصة القصيرة جدا كما هو معهود في قرننا الحالي الذي يشهد تسارعا كبيرا وخطيرا في الوقت نفسه، وهو ما يستوجب السعي الحثيث للحاق بالمستجدات التي تملأ عالمنا المعاصر، وتحمل هويته وسماته.

ونقطة الانطلاق الأولى، هي أن نجرد القصة القصيرة جدا من اعتبارات كثيرة، منها اللغة إذا كانت محددة أو مخصصة لفئة أو مجموعة، وثاني الاعتبارات أن نغض النظر عن الملكية الأولى للقصة القصيرة جدا لأن ((نشوء الشكل الجديد ليس مشروطا بأن تكون له جذور تراثية، وهو لا يستمد شرعية وجوده من ذلك المعيار، لأننا إذا افترضنا ذلك فإننا سنكون عاجزين عن تفسير ظهور النص الأول وخلوده في أي فن من فنون الأدب))[٣]، بمعنى طرحنا من البحث العائدية الإبداعية التي أنتجت هذا النوع الأدبي، بما يشبه كثيرا المسألة التي تدور حول قصيدة النثر، هل هي نتاج شرقي أم أنها وفدت ضمن ما وفد من الآداب الغربية فتأثر بها نفر من شعرائنا فحاولوا تقليدها. أما الاعتبار الثالث، وهو الأخير، فهو أن نطرح في نقطة انطلاقنا المفترضة، ذلك الإرهاص التاريخي المتعلق والمهتم بالمراحل التي سبقت القصة القصيرة جدا، والتي أدت فيما بعد إلى ظهورها وتميزها والاستحقاق الذي حصلت عليه في حملها هذا الاسم الذي تميزت به عن سائر الأنواع الأدبية الأخرى.

بعد طرح هذه الاعتبارات التي ورد ذكرها، سوف نقوم بطرح السؤال الآتي: ماذا سوف يستوي لدينا من هذا النوع الأدبي؟ ويمكن أن يصاغ السؤال بعبارة أخرى فنقول: كيف ستكون رؤيتنا للقصة القصيرة جدا بعد أن طرحنا الاعتبارات السابقة؟

وإذا أمكننا أن نطرح افتراضا تعقيبيا يمهد للإجابة عن السؤال المطروح، فسوف يكون، إذا فُرض أن باحثا أدبيا أو قارئا متمرسا قدمت له ورقة تشتمل على قصة قصيرة جدا، وطُلب منه الإجابة عن السؤال، فماذا عساه يجيب؟ لا شك أن الاعتبارات المطروحة سلفا مع توافر الافتراض السابق، سوف تجعل الباحث أو القارئ يجمل قوله حول تعريف ذلك النوع الأدبي، في كلمات ثلاث هي الفكرة البسيطة والقصر والتكثيف. وهو تعريف صائب إذا ما نُظر إليه من حيث الواقع المرئي والمحسوس، والذي يطمئن له العقل لحظة تلقي الحواس لذلك النوع الأدبي، وربما كان في تعريف الدكتور الطاهر أحمد مكي ما يقارب هذه النتيجة إذ يقول: ((إن القصة حكاية أدبية، تدرك لتقص، قصيرة نسبيا ذات خطة بسيطة وحدث محدد حول جانب من الحياة، لا في واقعها العادي والمنطقي، وإنما طبقا لنظرة مثالية ورمزية، لا تنمّي

أحداثا وبيئات وشخوصا، وإنما توجز في لحظة واحدة حدثا ذا معنى كبير))[٤]، وعلاوة على ذلك فإن التعريف السابق وما يترتب عليه ينأى بنا عن كثير من المباحث التي تتخللها اختلافات قد تكون ناشئة من الخوض في مسائل ابستيمولوجية أو فلسفية، تؤدي كثرتها إلى فقد القصة القصيرة جدا نظارتها البكر، السمة التي تتميز بها وتشعرنا بذلك الدفق الساحر الذي ينساب من النص وإن كان في سطور قليلة.

ولا يحسبن احد أن القول المجمل حول تعريف القصة القصيرة، قد يعيبه بناؤه أو انطلاقه من نزعة انطباعية أو تأثرية كما هو معروف في مذاهب الأدب، فهذه النزعة بالنسبة لحصرها وتحديدها في الباحث الأدبي أو القارئ الفطن تستدعي ضرورةً حضور الكثير من آلات المنطق وصوابية الفكرة دون إلقاء القول على عواهنه، فالإطلاع على الأدب بمذاهبه عموما وإدمان النظر في النصوص سوف تجعل مثل هذا الحكم مسوغا ميسورا، وعليه سوف تحال تلك النزعة الانطباعية، إلى توقد ذهني وبديهة سليمة قد تعقلت جيدا مفهوم القصة القصيرة جدا.

والقصة القصيرة جدا صورة معبرة ومجسدة لعصرنا الراهن، فهو عصر الانطلاق والسرعة، يتسارع فيه كل شيء، وتصل فيه معدلات التعجيل والتسارع إلى أرقام فلكية وخيالية، كان ما يعبر عنه سابقا بالأسفار والمجلدات أصبح اليوم محتوى في جملة واحدة من بضع كلمات، وفي رموز ودلالات رياضية يعرفها الناس ويعهدونها بعد أن كانت في سالف الأيام حكرا على العلماء والفلاسفة.

إن حضارتنا اليوم هي حضارة مادية، تطلب الجاهز دون كبير عناء، وانسحب ذلك على الناس، في أدق التفاصيل، في مأكلهم ومشربهم وإيقاع حياتهم العامة، أصبح يوم الناس حافلا بالملذات والنشاطات الحسية، وغزت المولتميديا والوسائل الانفوميدية بقوة كاسحة جبارة ساعات يومنا، تحمل لنا الكثير الكثير مما يخدر العصب ويحيل الفرد على متلقٍّ سلبي يشارك بحواسه فقط دون كد ذهني أو إعمال عقلي، وهذا الأسلوب قد أعجبه وأثاره كثيرا، بل أصبح ذا سلطة في ذلك فله الخيار أن ينتقي ما يريد دون قيد أو قسر على شيء، وأصبح ما يريده جاهزا فور أن يشتهيه. ولا ريب أن ذلك الوضع وتلك الكيفية التي يجري بها عالمنا جعلت معدلات القراءة تنخفض انخفاضا مريعا، ولا أدل على ذلك من الإحصائيات التي تظهر هذه الحقيقة، ليس في عالمنا العربي فحسب بل في العالم الغربي الذي يمتلك مكتبات ودور نشر هائلة العدد ويطبع سنويا ملايين الكتب، لكن بالرغم من ذلك فهو يشكو من انخفاض عدد قراءه سنة بعد أخرى[٥].

ويتصدر حديثنا عامل ثان يتمثل في كثرة انشغالات الفرد وتزاحم ساعات يومه بالعمل الرتيب، وهو ما انعكس في عزوفه عن كل نشاط ذهني وفكري، لأن هذا النشاط قد وجد له عوضا في الخبر السريع والعرض الجاهز والمريح.

ولعل من الواضح بعد هذا الطرح أن يصبح حال القراءة معروفا بوجه عام، كما أصبح من الواضح أيضا معرفة نفسية الفرد وما يميل إليه، فهو اليوم يبحث عن السرعة في كل شيء، في فنون الحياة كافة، فهو مثلا يعزف عن قراءة رواية طويلة، أو كتاب أو مجلد كبير، إن مشاغله لتلهيه عن كل ذلك، فلا ريب أن يكون قصر النص عاملا حاسما فيما يطلب، وفي هذه النقطة بالذات سوف تلعب الضرورة دورها؛ لأن ((الرغبة الملحة في التغيير لا بد أن يكون وراءها دوافع جوهرية نابعة من متغيرات الحياة التي نعيشها))[٦]، لتبدع لنا تلك الرغبة شيئا يولد من رحم العصر حاملا هويته، وممثلا حقيقيا للصورة التي عليها قرننا الحالي، فكانت القصة القصيرة جدا هي اقتضاء منطقي لهذه الضرورة، شأنها ومثلها كسائر التي تنطق صراحة عن عصرنا وتحمل سماته. وجريا وراء سنة اتفاق العلوم وترابطها، فإن القصة

القصيرة جدا تندرج ضمن إبداعات واكتشافات العلوم، وهي في مجموعها الأعم تشكل بنية عامة تحمل شعار القرن الأول من الألفية الثالثة!

إذاً، وبناء على ما تقدم، أصبح للقارئ اليوم فسحة صغيرة الحجم كبيرة المحتوى، يطل منها على الأدب، فيأخذ الفكرة سريعا، ويلتقط الحروف بأسرع وقت، ثم تكون المعاني المترسبة في النص تواصلا خاطفا في ذهن المتلقي، تولّد عنده في لحظات عوالم كثيرة تحقق الغاية الأدبية، وإن كان بعيدا عن التلازم المتتابع في القراءة، هذه الغاية الأدبية هي النشوة المعروفة والسمو الوجداني الذي تحقق بأقل كلمات وأصغر مساحة.

وفي رأينا، أن ما تقدم ليغني عن كثرة المباحث التي تفسر نشأة القصة القصيرة جدا في جانبها التاريخي، أو في ادعائها لجهة دون أخرى أو انتمائها للشرق العربي أو للعالم الغربي، ونكون بذلك قد أرحنا أنفسنا من جدال طويل، وربما عقيم، حول إشكالية نستطيع حلها بسهولة.

وعند الإطلاع على اكبر قدر ممكن من القصص القصيرة جدا، سوف نلمح صفة تتكرر في جميع النصوص، ألا وهي صفة الشعرية التي تغطي مفاصل القصة القصيرة جدا، بما يسوغ لنا دون غلو أو مجاوزة الحد، إدراج تسمية (شعرية القصة القصيرة جدا) ضمن المباحث التي تشرح وتظهر وتبين صفة ومعنى الشعرية ضمن محاور أو عناصر القصة القصيرة جدا، وهو ما يشبه علاقة متينة بين هذا النوع الأدبي وبين ما يعرف بالقصيدة الومضة أو التوقيعة، على تعدد واختلاف تسمياتها[٧]. وربما كان مرد هذه العلاقة هو طبيعة المستجدات التي ابتدعت في عصرنا فكانت هناك رابطة قوية انعكست على الأجناس الأدبية كافة، فحصل مزج بينها من خلال التعرف على هوية تُلمح سماتها في كلا النوعين بالرغم من انفصالهما في الكيفية التي ينظر لها، فقصيدة التوقيعة، سواء كانت على نمط التفعيلة أو بالصيغة النثرية، إلا أن ما يتفق عليه القارئ أو المتلقي هو قصد الشعر فيما يقرأه[٨]، أي أن روح الشعر وصورته حاضرة في النص، على النقيض من هذا التصور فيما يخص القصة القصيرة جدا، فهي لمحة أو فكرة بسيطة تتسارع وتتوتر ثم تتكثف، فتلتقي في هذه النقطة بالذات مع الشعر، فيكون الأداء متقاربا إلى حد بعيد ولا سيما في انعكاس ما تحمله اللغة على القارئ أو المتلقي من طاقة يستشعرها في الكلمات المرصوفة بدقة، ولكن يبقى الاتفاق ساري المفعول في قضية الفصل بين كلا النوعين بأن ما يقرأ إنما هو قصة لا شعر.

وفي رأينا أن هذا الاتفاق هو النقطة الجوهرية المميزة لإشكالات تثار يوما بعد آخر حول قضية شعرية القصة القصيرة جدا، فهما من حيث المبدأ يشكلان هوية العصر وروحه، ومن حيث التفاصيل الدقيقة يفترقان عند المبدع (المرسل) وفي النص (الرسالة) وعند القارئ (المرسل إليه)، فتكون النتيجة أن القصة القصيرة جدا تعلن انتماءها إلى عالم القصة بحيثياتها وسماتها، وقصيدة التوقيعة إلى عالم الشعر. وإذا أردنا أن نفلسف القضية للبحث في العلة والمعلول فسوف نجد أن القصة القصيرة جدا لم تلغِ ولن تلغي انتماءها للسرد، وهو الصفة الكبرى المميزة للقصة، مقارنة مع حضوره القليل في الشعر، في مقابل قصد الشعر وهو الصفة المركزية الأولى في كل القصائد القصيرة، هذا القصد إذا ما انسحب على القصة القصيرة جدا فهو تدبيج فقط لمحاورها دون تغلغل في أعماق الحرف والكلمة والسطر والجملة، وهو ما يصلح أن نطلق عليه بشعرنة القصة، على تفاوت في درجات ومستويات هذه الشعرنة، ليُسوَّغ لنا أخيرا الحديث عن شعرية القصة القصيرة جدا مع بقاء قصد النثر الحامل لروح القص أو الحكي[٩].

وخير شاهد على قولنا أن هناك دراسات سردية تنصب حول قصائد شعرية، ولكن هذا السرد ربما كان غائبا منتفيا في النصوص الشعرية، وربما كان حاضرا ولكن يشوبه الاختزال والحذف حتى يكاد أن يتلبس ثوبا دراميا يحفل به الشعر عموما[١٠]، على العكس من القصة القصيرة جدا التي لا تكاد تجد نصا من نصوصها مغيبا عنه السرد، لا سيما وان هذا النوع الأدبي يقوم بتحريكه وادراة نصوصه عنصران يعدان من أهم أركان السرد، وهما الشخصيات والأفعال المكثفة المشحونة، كل ما في الأمر أن هذين العنصرين يقومان بالاستعانة – مجازا – ببعض الوظائف التي تؤدى في قصيدة الومضة أو التوقيعة، من اجل هدف يتمثل في تحقيق السرعة التي ينتج عنها ترسيخ المعنى في اقل لفظ، والتأثير في ذهن القارئ الذي يراد له التعايش مع الفكرة المنصوص عليها في القصة. ولا ريب أن ترسيخ المعنى، والتأثير الناتج من فكرة تتموضع في أقل لفظ هما الخاصيتان الرئيستان اللتان يتحلى بهما الشعر عموما، ولا سيما شعرنا العربي المعروف عنه استقلالية البيت أو السطر الشعري واشتماله على فكرة عالية ومعنى واسع فضفاض في اقل لفظ واقصر كلمات.

وربما قادنا هذا الحديث إلى إيجاد فرق مهم وضروري بين النوعين الأدبيين، وهو يتمثل في الإيقاع، الذي تتحلى به القصائد على اختلاف أشكالها وأنواعها، والذي لا تخطئه الأذن أبدا، وهو مميِّز حيوي في كل القصائد، وبضمنها قصيدة الومضة، وهو ما يغيب تماما في كل القصص القصيرة جدا، بما يسوغ القول أن الأخيرة رغم استعانتها بكثير من عناصر الشعر، إلا أنها لم تستعن بتاتا بعناصر الإيقاع، وذلك بقصد من كتاب القصة القصيرة جدا حتى لا تطمس أو تتلاشى في القصيدة، ولا سيما قصيدة النثر التي تكتب فيها الكلمات بأشكال عمودية وأفقية وزوايا مختلفة، قد تحتمل في صياغتها العامة القصة القصيرة جدا ذات النص الذي يشار إليه بحسب تعبير الأدب الصيني بحجم راحة الكف[١١]!!

والخلاصة لما تقدم أن علاقة القصة القصيرة جدا بقصيدة الومضة أو التوقيعة هي علاقة اتصاف الأولى بالثانية في بعض عناصرها، أي أنها علاقة اشتراك الأولى مع الثانية في سمات محددة، مع احتفاظ القصة القصيرة جدا بهويتها وعدم تماهيها أو اختفائها في نص ينحو منحى الشعر أو القصيدة عموما، والدليل الجوهري على ذلك هو إعلان القصة القصيرة جدا عن نفسها أينما وردت، بل ولو كانت مقحمة في سفر كبير يقوم على قصيدة الومضة بأسره. ويمكننا أخيرا تحديد السمات المشار إليها آنفا في كلمتين هما، القصر والتكثيف، بوصفهما الدعامتين اللتين يقوم عليهما كلا النوعين، أما القصر فيتحدد في اختصار اللفظ والعبارات، ويشمل حذف الكثير من الأحداث والتفصيلات[١٢]، ويستعان في تأديته بعلامات الترقيم كثيرا، وكذلك مساحات البياض والفراغ المشعرة حينا بتفصيلات كثيرة محذوفة، والمنبئة حينا آخر عن دوال تُترك للقارئ بقصد مبيت من القاص، وهو ما يتمثل في أمرين، الأول هو المعرفة المسبقة بما تم حذفه أو الإشارة إليه بمساحة بيضاء أو بفراغ معين، والأمر الثاني هو غاية القاص في أن تعتمل في ذهن القارئ أفكار معينة تكمل النص وتحقق الفكرة العامة للقصة القصيرة جدا، وكما هو واضح فان الأمر الثاني يحتاج إلى مقدرة من القاص في التلاعب بالكلمات والجمل ليصل إلى ما يريد، كما يتدخل في الشأن الآنف نوعية القارئ والظروف المحيطة، بالنظر إلى مضمون القصة كأن تأخذ جانبا اجتماعيا أو سياسيا أو وجدانيا إلى غير ذلك.

أما التكثيف فهو في أيسر تعريف له، حشد اكبر قدر من المعاني في اقل لفظ، وهذا الأمر يتطلب إلماما باللغة وتمكنا من ألفاظها ومعرفة مدلولاتها، كما يستلزم ضرورة توظيف اللفظ المناسب للمعاني الجائلة في الذهن، ولا سيما إذا كانت

تلك المعاني متولدة من مشاهدات أو التقاطات تعرض لها القاص، فتكون غايته حينها هو إيصال تلك المعاني ذاتها لتفعل فعلها في ذهن القارئ أو المتلقي(١٣).

وأخيرا فإن هذين العنصرين يوظفهما القاص في السرد، مستغلا الحدث والشخصية، مع الإكثار من الأفعال الدالة على الحدث، والتي يأتي بها بصيغة وصفية أو خبرية، ومقلا في الوقت نفسه من الألفاظ الاسمية التي تدل على الثبات والاستقرار، بينما تتطلب القصة القصيرة جدا سرعة وتوترا يتمثل في الأفعال.

وإذا كان لورقتنا هذه أن تتقدم في منحنى تطبيقي، ففي نماذج القاص جمال نوري مادة صالحة لإظهار وكشف وبيان آليات وعناصر القصة القصيرة جدا، ولا سيما في مجموعته القصصية (شمس تحت الغيوم) التي تعد – في رأينا – ممثلة للنضج الأدبي والفني عند القاص، ولاشتمالها أيضا على قصص متنوعة تأخذ من الراهن والمعاصر جل مادتها، فهو يوظف المشاهد والأحداث في أسلوب قصصي دقيق يجلي الفكرة ويحدث التأثير. ويبدو من الإطلاع على المجموعة القصصية الأخيرة، أن القاص خصص قسما ختم به المجموعة، يشتمل على القصص القصيرة جدا، وجاء ترتيبها على هذا النحو (أسلاك شائكة، حلوى مرة، الصدى، نجوم مضيئة، غورنيكا عراقية، طقس احتفالي مؤجل، ضياء كالظلام، الفراشات، المظلات، لقاء، وهم)، وجميع القصص الواردة تصلح لأخذها نماذج تطبيقية لمعرفة بنية القصة القصيرة جدا، وإذا تحتم علينا الاختيار فسيكون في قصة (المظلات)، لاستيفائها الكامل شروط القصة القصيرة جدا، ولكونها مشحونة بطاقة أدبية فنية تجعلها قادرة على الانفتاح على أكثر من رؤية ووجهة نظر تحليلية.

يقول القاص: ((كان يؤثر تناول الغداء في المطعم المطل على شارع فرعي، يجلس قرب النافذة ويتطلع بوله إلى نثيث المطر المنثال على المظلات السود التي كانت تتمايل على رؤوس المارة... كم أحب هذه المدينة وعشق شوارعها التي كان يذرعها بحثا عن وجهها الصبوح... بعد كل هذه الأعوام المزدحمة بالتجارب الحزينة هل تتاح له الفرصة للقائها. هو الذي أحبها حبا جنونيا عندما كان طالبا في الكلية وهي التي أغلقت كل أبوابها إزاء خلجانه الصادقة لم تمنحه فرصة صغيرة أو بصيص أمل يضيء فيه ليالي انتظاره الطويل... تردد كثيرا على هذه المدينة آملا أن يلتقيها ولم يكن ليكل أو يمل من تجواله المضني في الشوارع المغسولة بالمطر بحثا عن وجهها الجميل الذي سكن قلبه وأحلامه...))(١٤).

أهم ملحظ في البناء اللغوي لهذه القصة أنها اشتملت فيما يخص الحدث على ثلاثة وعشرين فعلا، جعلت القصة تتسارع وتختزل الكثير من المناطق والمساحات المسكوت عنها إلى حد كبير، لكن هذا التسارع يجري بوتيرة هادئة بعيدة عن الاضطراب أو التشويش الذهني كما هو حاصل في نصوص كثيرة، وسبب هذا الهدوء هو موضوع القصة التي تدور حول عاطفة وصلت إلى حالة من الحزن بعد تجرده من لوازمه المعروفة والظاهرة في النفس والبدن، ليستوي إلى اطمئنان ناسب جو الذاكرة جدا، مما قاد إلى اختصار الزمن وتداخله في معظم أجواء القصة، فبين الحاضر والماضي تبقى الصورة منسجمة توحي بأحادية الزمن وإمكانية ضم القصة بأسرها إلى عالم الذكريات فحسب.

اظهر هذه الطمأنينة وأكدها لدى القارئ بصورة خفية، ورود الجمل والعبارات التي وظفها القاص لإيصال هذه الحقيقة، كما في تناوله الغداء في المطعم المطل على شارع فرعي، إذ توحي هذه الكلمات ببعض النشوة والاستقرار والتلذذ الحاصل بنظراته الولهى إلى نثيث المطر المنثال على المظلات، ولا ريب أنه منظر ينقل إحساس الكاتب وانطباع هذا المشهد فساقه في هذا المكان ليناسب بين حدث القصة والشعور المتولد عنها. كما أن العبارة الأولى من القصة

كانت مقدمة مهدت بصورة موفقة جدا الولوج في موضوع القصة التي يظهر أنها بنيت عليها، فبعد حمولة فنية اشتملت على الطمأنينة واتخذت شكل راوٍ يحسب خطواته بدقة جاء الحديث عن الحبيبة، ويمكن أن نقرن جمالية النص في الفقرة الأولى لتكون دالا معنويا يعكس جمال الحبيبة، ولا سيما أن الفقرات اللاحقة تحمل من قيم الحب ما يقتضي ضرورة التسليم بجمال الحبيبة من جهة وجمالية الموجودات الحسية المحيطة مثلما هو انطباعها الجميل في دخيلة القاص. ولا ندري بالضبط إن كان حب القاص للمدينة المذكورة في القصة بسبب سكنى حبيبته فيها، أم أنه حب مجرد من اعتبارات أخرى، على أن ما يوحي ويشير إليه النص أن حبه كان بسبب حبيبته. وحقيقة أخرى تظهرها القصة أنه لم يكن من أهل هذه المدينة، يؤكد ذلك قوله (كان يؤثر تناول الغداء..) إذ يدلل أنه كان زائرا لها بين حين وحين، ويُشفع قولنا السابق بأدلة أخرى منها قوله (كم أحب هذه المدينة وعشق شوارعها..)، أما القول الفصل في جلاء هذه الحقيقة فهي قوله (تردد كثيرا على هذه المدينة...)، إذ يظهر هذا التردد أنه من مدينة أخرى جاء ليبحث ويعانق أمله الغائب. ويسكت النص عن عدد ومقدار الزيارات التي كان يقوم بها لهذه المدينة، ولكن يظهر من كثافة العاطفة ودقة الكلمات المنتقاة أن سنين طويلة قد مرت منذ أن حدثت له تلك التجربة المريرة المشار إليها في النص، وذلك يقتضي أن زياراته كانت كثيرة ومتكررة بالنظر إلى تتابع السنوات، وفي الوقت ذاته يعكس مرارة الحقيقة التي يعيشها القاص والمتمثلة في اللاجدوى والضياع والبحث من دون نوال. ولا نعلم بالضبط هوية المدينة المذكورة إذ سكت القاص عن ذلك – بقصد منه طبعا – ولم يحدد اسمها، بيد أن الإيقاع العام لأجواء هذه المدينة يُلمّح لنا أنها من المدن الرئيسة في العراق، ولا سيما وإنه ذكر الكلية التي درس فيها دون تحديد لهويتها وعنوانها أيضا، ولكن بالنظر إلى تلك السنين التي بدأ فيها دراسته في الكلية، سيقودنا تحليلنا إلى حصر احتمالات المدينة في مدن ثلاث، وهي بغداد والموصل والبصرة، ولكننا نميل إلى أن المدينة المعنية في القصة هي العاصمة بغداد، للإيقاع العام ولتلك الحركة المشعرة بجو بغداد، على أننا لا نستبعد الاحتمال الثاني، وهو مدينة الموصل ولا سيما أنها معروفة بأمطارها الغزيرة، والتي أشار إليها القاص بقوله الصريح (... ويتطلع بوله إلى نثيث المطر المنثال على المظلات السود التي كانت تتمايل على رؤوس المارة)، وهذا المشهد أثّر فيه كثيرا فجعله عنوانا لقصته ذات المضمون البعيد نسبيا عن فحوى العنوان، ولكنه مناسب من حيث عالم الذكريات التي تقترن بحدث أو مشهد أو قول ما، وهي حقيقة يسلم بها علماء النفس والمهتمين في هذا المجال.

وكما سكت القاص عن ذكر كثير من الإشارات سوى بضعة لوازم منها، نراه كذلك قد سكت في بيان الحدث الرئيس في القصة، وهو قصة الحب، ولكن بعد جمع شتات المعاني والإشارات، نجد أنها كانت قصة حب بائت بالفشل، لأسباب غير واضحة، لكننا نستطيع التكهن بها، فربما كانت لضيق ذات اليد، السبب الأول في قصص العشق المعهودة، أو بسبب العرف بوصفه طارئا على تلك المدينة، أو لعدم ميل الحبيبة له، أو لغيرها من الأسباب المعهودة، وأجزم أن لو كان هناك سبب خارق للعادة وغير مألوف لأتى به القاص بإشارة قصيرة ومناسبة؛ لانتقائه المناسب للكلمات ولوضعه الاشارت في محلها الذي يريده لها.

ويظهر أن القاص قد بذل كل ما بوسعه لنيل الوصال والقبول من حبيبته، لكنها رفضت ولم تفتح له طريقا إلى قلبها، يتجلى ذلك في قوله (وهي التي أغلقت كل أبوابها إزاء خلجانه الصادقة لم تمنحه فرصة أو بصيص أمل يضيء فيه ليالي انتظاره الطويل)، وفي هذا الموضع فصّل القاص في بيان رفض الحبيبة مع عهدنا له بالاقتضاب وعدم المباشرة والإبهام، وسبب ذلك ليزيح عن القارئ كل ما من شأنه تغيير تلك الحقيقة أو التكهن بغيرها، فهي قصة حب سلبية، حب

جنوني من طرف واحد وصَدّ مريع من طرف آخر، وشكل العلاقة ليس واضحا وليس فيه ما يوحي بتواصل أو مجرد حديث يعيده في الزمن المتقدم بشكل ذكريات، وإن كانت هناك إشارة صغيرة إلى ذلك اللقاء المرتقب، لكنه إذا ما أخذ بصورته الظاهرة فإنه حينذاك سوف يشير إلى رؤية ذلك الوجه الصبوح لا غير، وإلا ما جدوى اللقاء إذا كانت تلك الحبيبة قد قطعت كل أمل يرتجى في حديث يسير أو ابتسامة عطف. أما اشد ما في القصة إيهاما وإبهاما فهو خاتمة تلك العلاقة التي تفرق كلا الطرفين بعدها، لا سيما بعد مضي أعوام عراقية ملأى بالظروف العصيبة والتي أشار إليها القاص بعبارة مكثفة في قوله (بعد كل هذه الأعوام المزدحمة بالتجارب الحزينة). وعلاوة على السلب الحاصل وهما في نفس الكلية، كان هناك حدث أدى إلى قطيعة فظيعة بين الاثنين، وربما كان التخرج هو السبب المنطقي، لكننا نميل إلى حدوث شيء سكت القاص عن ذكره، وهو يُستشف من خلال العبارات الواردة في ثنايا النص، والمتمثلة في تردده كثيرا على هذه المدينة وبحثه الدائب عن وجه حبيبته، ولماذا يبحث عنها جاهدا مع توافر الكثير من السبل الميسرة للوصول إليها، كاتصاله بالأصدقاء أو بالبحث عن عنوانها وغيرها من السبل، مما يجعلنا على قناعة أن الموضوع برمته قد تعرض إلى خطب جلل، فربما غيّبها الموت، أو اختفت بسب ظرف معين، ولم تظهر بعدها، وأبى تصديق هذه الحقيقة، فتراه جاهدا في البحث ليجدها أو ليبعث في ذهنه صورتها المتخيلة من جديد، لكنه على كل حال بحث يائس قد عرف مقدما فلا سبيل إلى لقائها مجددا، وترى القاص قد أيقن بتلك الحقيقة فنقل لنا فقرة تظهر الاستمرار بلا جدوى، وترى اليأس كامنا في أطرافها وثناياها (تردد كثيرا على هذه المدينة آملا أن يلتقيها ولم يكن ليكل أو يمل من تجواله المضني في الشوارع المغسولة بالمطر بحثا عن وجهها الجميل الذي سكن قلبه وأحلامه).

وفضلا على مضمون القصة نجد النص حافلا بالصور المتحركة بشكل لقطات زادت كثيرا من جمالية القصة، نجد اللقطة الأولى في قوله (.. ويتطلع بوله إلى نثيث المطر المنثال على المظلات السود التي تتمايل على رؤوس المارة)، أما الثانية فكانت في خاتمتها بقوله (.. ولم يكن ليكل أو ليمل من تجواله المضني في الشوارع المغسولة بالمطر بحثا عن وجهها الجميل)، وبين اللقطتين يأتي المضمون منصهرا، حاملا عاطفة ممهدة وسابقة ومنفعلة، ومنتهيا بحركة هادئة تعلن الاستمرار في الحب والوفاء لذلك الوجه الملائكي الصبوح. وفي هذه النقطة بالذات تعلن القصة عن انتهائها بعد أن طرحت جدلية الحب الضائع وأتت بصورة مبدعة خلاقة تعزف على أحاديث النفس ورؤى القلب، عن عاشق في الزمن المرير.

<u>الهوامش</u>

١. في هذا الباب تنظر مقالة: مستقبل القصة القصيرة جدا، إبراهيم سبتي، جريدة الصباح،30/06/2011 .
٢. النقطة والدائرة، طراد الكبيسي دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧، ص ٨٣.
٣. القصة القصيرة جدا بين النظرية والتطبيق، د. يوسف حطيني، دار الأوائل للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ٢٠٠٤ م، ص١١.
٤. تداخل الأنواع في القصّة المصريّة القصيرة ١٩٦٠-١٩٩٠، خيري دومة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٩٨، ص٤٧.
٥. أزمة القراءة، علي الطالقاني، مجلة الموروث، العدد ٢٢، كانون الأول ٢٠٠٩.
٦. مستويات لعبة اللغة في القص الروائي، نبيلة إبراهيم، مجلة إبداع س٢، عدد ٥، مايو ١٩٨٤، ص ٧.
٧. ينظر: شعرية القصة القصيرة جدا " قصص عبد الله المتقي ومصطفى لغتيري أنموذجا "، عبد الدائم السلامي، منشورات أجراس والصالون الأدبي، ٢٠٠٧، ص ٦.
٨. عن الشعر وقصد الشعر ينظر: معجم مقاييس اللغة، والمحكم والمحيط الأعظم، ولسان العرب، ومعجم مفردات القرآن، مادة شعر، وكذلك تعريف الجرجاني في كتاب التعريفات بقوله: ((كلام مقفًى موزون على سبيل القصد)).

٩. القصة القصيرة جدا بالمغرب قراءة في المتون، جميل حمداوي، منشورات مقاربات سلسلة دراسات، ط١، ٢٠٠٩، ص٤٣.
١٠. ينظر في هذا الباب: في السرد – أنماط السرد، طراد الكبيسي، عمان، مجلة ثقافية شهرية، العدد ١٥١، ص٥٠.
١١. مفاهيم نظرية حول القصة القصيرة جدا في أسبانيا وأمريكا اللاتينية، سعيد عبد الواحد، مجلة قاف صاد، العدد١ السنة ٢٠٠٤، ص ٣٧
١٢. القصة القصيرة جدا نوعا أدبيا، جابر خلف إلياس، مجرة، عدد ١٣ خريف سنة ٢٠٠٨، ص٣٠.
١٣. المصدر نفسه.
١٤. شمس خلف الغيوم، جمال نوري، رند للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠، ص٩٦.

Abstract

Perhaps the most problems raised about a particular genre, is raised and are raising about the (very short story). It is known that the latter in relation to the arts and genres other, longer-life is very short, can not be the researcher whatever is given the ability of literary and after consideration be mastered in all its aspects, being a bear more of the visions and ideas justified the prevalence of this art, and its spread in the world.

Came in search of this more like a summary is trying to stand on the basic features that characterize the story very short, and fell into these features in two ways, represents the first in the form of the story is very short, which is evident in the many names that I called it and the related form, as well as differences occurring between the population of researchers and critics about finding a comprehensive definition of the story gives the basic features of the shape in terms of length and the palace and the words and lines, and others.

The second aspect dealt with some of brevity, in specific places, and at length in other places, those features that concern the content of the short story, and we have to clarify that a comparison between them and the intense poetic contents, which can be called a poetic story is very short. After clarifying your search to these two aspects, which we adopted in them mainly to read and review and tracking, we have come a model application of the writer Jamal Nuri, was the story (umbrellas), which we explained what we went to him with respect to the theoretical aspects of the story is very short, to be the conclusion fit subject of research At the same time be a breakthrough for other stories waiting to study and research.